الكتاب الجامع للفضائل

(٣٦)

فضل الشام وبيت المقدس

للشيخ/ندا أبو أحمد

فضل الشام وبيت المقدس

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد....

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ -تعالى-، وخيرَ الهدي، هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

فضل الشام وبيت المقدس

أولًا: فضائل الشام

فضائل الشام في القرآن الكريم

١- الشام أرض مباركة:

٢- الشام أرض مقدسة:

٣- الشام أرض صدق:

فضائل الشام في السنة المطهرة

١- الملائكة تبسط أجنحتها على الشام:

٢- الشام صفوة بلاد الله، يُسكنها خيرته من خلقه:

٣- أهل الشام سوط الله في الأرض ينتقم بهم ممن يشاء:

٤- تكفل الله تعالى بأهل الشام:

٥- خيار أهل الأرض من يهاجر إلى الشام:

٦- عمود الكتاب والإسلام بالشام، وتمام دين الله وظهوره سيكون بها:

٧- دعا النبي-صلى الله عليه وسلم- للشام بالبركة:

٨- في آخر الزمان ينصح النبي العدنان -صلى الله عليه وسلم- بسكنى الشام:

٩- كثرة شهداء الشام وفضلهم العظيم عند الله:

١٠- أرض الشام رباط وثغر إلى يوم القيامة وهي عقر دار المؤمنين:

١١- أهل الشام ميزان للصلاح والفساد في أمة الإسلام:

١٢- بأرض الشام الطائفة المنصورة:

١٣- جيش الشام من خيار أهل الأرض يؤيد الله بهم هذا الدين:

١٤- شجرة طوبى في الجنة تشبه أشجار الشام:

١٥- رؤيا أم النبي- صلى الله عليه وسلم- قصور الشام عند ولادته:

١٦- بقاء الشام بعد خراب غيرها من الأمصار:

١٧-الشام أرض المحشر والمنشر:

ثانيًا :فضائل بيت المقدس (المسجد الأقصى)

١- أقسم الله تعالى ببيت المقدس، والعظيم لا يقسم إلا بعظيم :

٢- بيت المقدس وفلسطين هي مهاجر إبراهيم ولوط - عليهما السلام- :

٣- بالقدس ديار يعقوب عليه السلام :

٤- وبالقدس كان مُلْكُ داود عليه السلام ومحرابه ومعبده:

٥- مُلْكُ سليمان عليه السلام ونبوته في البيت المقدّس:

٦- موسى عليه السلام يسأل ربه عند الموت أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر:

٧- يوشع بن نون فتى موسى ونبي بني إسرائيل عليه السلام ونبأه العجيب: فقد حبس الله له الشمس عند فتحه للقدس:

٨- بيت المقدس كان متعبد مريم - عليها السلام- ومحراب زكريا عليه السلام :

٩- دعوة سليمان عليه السلام لمن صلى في بيت المقدس أن يكون من خطيئته كيوم ولدته أمه:

١٠- الميلادان الفذان كانا بفلسطين :ميلاد يحيى وميلاد عيسى ابن مريم - عليهما السلام-:

١١- وبيت المقدس فيه الربوة التي أوت إليها مريم وابنها عيسى عليه السلام:

١٢- أفضل الخلق وخيارهم سيكونون ببيت المقدس:

١٣- بيت المقدس (المسجد الأقصى) ثاني مسجد بني على الأرض:

١٤- بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى:

١٥- بيت المقدس أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال:

١٦- الصلاة في المسجد الأقصى بمائتين وخمسين صلاة:

١٧- لَنْعَم المصلى بيت المقدس:

١٨- بيت المقدس أرض المحشر والمنشر:

١٩- ومما يدل على فضل بيت المقدس:

الحكمة من الإسراء إلى المسجد الأقصى:

الرسول - صلى الله عليه وسلم- يتسلَّم مفاتيح بيت المقدس:

فضل الشام وبيت المقدس[1]

أولًا: فضائل الشام

فضائل الشام في القرآن الكريم

١ - الشام أرض مباركة:

أ- قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:٧١)

قال الحسن وابن زيد وقتادة وابن جريج -رحمهم الله- عند قوله تعالى: ﴿.. إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ قالوا هي: أرض الشام[2].

وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: وما من ماء عذب إلا وخرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس.

وقال أبو العالية -رحمه الله-: ليس ماء عذب إلا يهبط إلى الصخرة التي ببيت المقدس ثم يتفرق إلى الأرض.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه "مناقب الشام وأهله صـ٧٦ ":

معلوم أن إبراهيمَ إنما نَجَّاه الله ولوطًا إلى أرض الشام من أرض الجزيرة والعراق.

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله- في تفسيره٨/٤٦ : لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام وبها كان مقامه أيام حياته، وإن كان قد قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها ابنه إسماعيل مع أمه هاجر، غير أنه لم يقم بها، ولم يتخذها وطنًا لنفسه ولا لوط، والله أخبر عن إبراهيم ولوط أنه أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين .أهـ

ب - وقال تعالى عن نجاة موسى عليه السلام ومن معه بعد غرق فرعون: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (الأعراف:١٣٧)

وقوله: ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ ***قال الحسن وقتادة -رحمهما الله-:*** هي أرض الشام .

(تفسير الطبري:٦/٤٣)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "مناقب الشام وأهله صـ٧٥":

معلوم أن بني إسرائيل إنما أورثوا مشارق أرض الشام ومغاربها . بعد أن أُغْرِقَ فرعون في اليم. أهـ

فأرض الشام هي البركة والخير وقد باركها الله تعالى بكثرة الأنبياء وإنزال الشرائع التي هي طريق السعادة وبكثرة النعم والخصب والثمار وقد نزل إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- فلسطين، ولوط عليه السلام بسدوم.

---

١ - استفدت كثيرًا من كتاب "واقدساه"، للشيخ سيد حسين العفاني- حفظه الله -

٢ - الشام: اسم يطلق على بلاد سوريا وما حولها (لبنان والأردن وفلسطين)

جـ – ومملكة سليمان كانت في هذه الأرض المباركة:

قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء:٨١)

والمقصود بالأرض التي بارك الله فيها هي الشام (قاله ابن زيد) (انظر تفسير الطبري:٨/٥٥)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: إنما كانت تجري إلى أرض الشام التي فيها مملكة سليمان.

د – وقال تعالى في قصة سبأ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ (سبا:١٨)

القرى التي بارك الله فيها هي الشام (قاله مجاهد وقتادة –رحمهما الله–)

وقيل: أراد بالأرض التي بورك فيها هي: بيت المقدس.

يقول ابن عباس– رضي الله عنهما–: الأرض التي باركنا فيها هي الأرض المقدسة. (تفسير الطبري:١٠/٨٣)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: وهو ما كان بين اليمن مساكن سبأ وبين قرى الشام من العمارة القديمة كما ذكره العلماء. أهـ

هـ – قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١)

فقد أخبر الله– تعالى– في هذه الآية أنه بارك حول المسجد الأقصى، ومن المعلوم أن الذي حول المسجد الأقصى هي أرض الشام التي تشغلها الآن سوريا ولبنان والأردن وفلسطين.

قال ابن الفقيه الهمداني: –رحمه الله–أجناد الشام أربعة: حمص ودمشق وفلسطين والأردن .

(مختصر كتاب البلدان)

قال عز الدين بن عبد السلام –رحمه الله–: اختلف العلماء في هذه البركة فقيل :هي بالرسل والأنبياء، وقيل: بما بارك فيها من الثمار والمياة. (ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام ص٢٤)

وقال الطبري –رحمه الله–: جعلنا البركة لسكانه في معايشهم، وأقواتهم، وحروثهم، وغروسهم.

وهذه البركة غير مقيدة ولا محددة، فهي شاملة لكل أنواع البركة، البركة الإيمانية، والبركة الأخلاقية، والبركة التاريخية، والبركة السياسية، والاجتماعية والجهادية.

هذه البركة ربانية ثابتة مستقرة ولن ينجح الأعداء في انتزاعها وتفريغها منها، مهما بذلوا من جهود.

وقال القاسمي –رحمه الله– في" تفسيره:١٠/٣٨٨٥" : بارك الله بين جوانبه ببركات الدين والدنيا، لأن تلك الأرض المقدسة مقر الأنبياء ومهبط وحيهم ومَنْمَى الزروع والثمار، فاكتنفته البركة الإلهية من نواحيه كلها، بركته إذًا مضاعفة لكونه في أرض مباركة، ولكونه من أعظم مساجد الله– تعالى– والمساجد بيوت الله، ولكونه متعبد الأنبياء ومقامهم ومهبط وحيه عليهم، فبورك فيه ببركتهم ويمنهم أيضًا .أهـ

٢- الشام أرض مقدسة:

قال تعالى عن حديث موسى عليه السلام لقومه: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة:٢١)

والأرض المقدسة: هي أرض الشام

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: " هي أريحاء، وكذا قال ابن زيد "، وقال قتادة:" هي الشام ".

والأرض المقدسة المطهرة المباركة ... لا تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر لإجماع جميع أهل التأويل والسير والعلماء بالإخبار عن ذلك . (تفسير الطبري:٤/١٧٢)

وقال محمد رشيد رضا -رحمه الله- في "تفسيره المنار: ٦/ ٣٢٤ عند الآية السابقة":

المقدسة: المطهرة من الوثنية، لما بعث الله فيها من الأنبياء دعاة التوحيد، وفسر مجاهد" المقدسة " بالمباركة ويصدق بالبركة الحسية والمعنوية، وروى ابن عساكر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن الأرض المقدسة ما بين العريش (عريش مصر)إلى الفرات، وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة: أنها الشام، والمعنى واحد ". أهـ

٣- الشام أرض صدق:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (يونس:٩٣)

وقيل مُبَوَّأ الصدق: المقصود به الشام ومصر.

قال الضحاك-رحمه الله-: " مصر والشام" .

وقال قتادة-رحمه الله-: "بوَّأهم الله الشام وبيت المقدس ".

وقال ابن زيد-رحمه الله-: " الشام"، وقرأ: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (تفسير الطبري:٦/٦٦)

وقال عز الدين بن عبد السلام -رحمه الله-: " قد يكون المبوأ حسنًا لما فيه من البركات الدينية، وذلك موجود وافر بالشام وبيت المقدس" . (ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام صـ٢٦)

وقال صاحب الظلال -رحمه الله- في تفسيره: ٤/٤٧٣: " والمبوأ: مكان الإقامة الأمين وإضافة الصدق تزيده أمنًا وثباتًا واستقرارًا كثبات الصدق الذي لا يضطرب ولا يتزعزع اضطراب الكذب وتزعزع الافتراء".

فضائل الشام في السنة المطهرة

أرض الشام هي تلك الرقعة التي تشغلها الآن سورية، ولبنان، والأردن، وفلسطين. ***وقد مر بنا قول ابن الفقيه الهمداني-رحمه الله-:*** " أجناد الشام أربعة: حمص، ودمشق، وفلسطين، والأردن. (مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه) ولم يتم تقسيمها إلى هذه الدول إلا بعد اتفاقية " سايكس بيكون " وكل فضيلة ثابتة لبلاد الشام بوجه عام فهي أيضًا ثابتة لبيت المقدس، لأنه جزء منها، بخلاف ما اختص الله به بيت المقدس من فضائل

ونعرّج أولًا على فضائل الشام لتكون مدخلًا لما بعده من الفضائل لبيت المقدس

وإقليم الشام جليل الشأن، فهو ديار النبيين ومركز الصالحين، ومطلب الفضلاء، به القبلة الأولى، وموضع الحشر والمسرى، والأرض المقدسة، والرباطات الفاضلة، والثغور الجليلة، والجبال الشريفة، ومهاجر إبراهيم، وقبر وديار أيوب وبئره، ومحراب داود وبابه، وعجائب سليمان ومدنه، وتربة إسحاق وأمه، ومولد المسيح ومهده، وقرية طالوت ونهره، ومقتل جالوت وحصنه، وجُبّ أرميا وحبسه، ومسجد أوربا وبيته، وقبة محمد وبابه، وصخرة موسى، وربوة عيسى، ومحراب زكريا، ومعرك يحيى، ومشاهد الأنبياء، وقرى أيوب، ومنازل يعقوب والمسجد الأقصى، وقبر موسى، ومضجع إبراهيم ومقبرته، وموضع لقمان ووادي كنعان، ومدائن لوط، وموضع الجنان، والباب الذي ذكره الرجلان، والمجلس الذي حضره الخصمان، وقبر مريم وراحيل ومجمع البحرين، مع مشاهد لا تُحصى، وفضائل لا تخفى، وفواكه ورخاء، وآخرة ودنيا، به يرق القلب، وتنبسط الأعضاء للعبادة .

(أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي صـ١٥١)

أرض البركة والخير، والطهر والعفاف، مستقر الإيمان في الفتن، وحصن الإسلام، وبها عموده وملكه.

فضائل الشام من حديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:

١ - الملائكة تبسط أجنحتها على الشام:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" يا طوبى للشام[1]، يا طوبى للشام، يا طوبى للشام". قالوا: يا رسول الله ﷺ وبم ذاك ؟ قال:" تلك ملائكة الله باسطوا أجنحتها على الشام ".** (صححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام) (صحيح الجامع: ٣٩٢٠) (الصحيحة:٥٠٢)

قال المناوي -رحمه الله- في" فيض القدير:"٤/٤٧٤": "طوبى: تأنيث أطيب، أي: راحة وطيب عيش حاصل بالشام. وطوبى مصدر من طاب كزلفى وبشرى، ومعنى ذلك أصبت طيبًا وخيرًا، لأن ملائكة البليغ الرحمة التي وسعت رحمته كل شيء تحفّها وتحوطها بإنزال البركات ودفع المهالك والمؤذيات " .أهـ

فأي شيء أطيب من دعاء النبي ﷺ لأهل الشام بطيب العيش والراحة وحراسة الملائكة، وحفظها للشام وأهله

قال عز الدين بن عبد السلام في كتابه " ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام صـ٣٤":

" أشار ﷺ أن الله سبحانه وتعالى وكل بها الملائكة يحرسونها، ويحفظونها، وهذا موافق لحديث عبد الله ابن حوالة في أنهم في كفالة الله- تعالى- ورعايته ".أهـ

---

١ - في بعض الروايات:" طوبى لأهل الشام ".

٢- الشام صفوة بلاد الله، يُسكنها خيرته من خلقه:

فقد أخرج الطبراني في الكبير عن واثلة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" عليكم بالشام؛ فإنها صفوة بلاد الله، يسكنها خيرته من خلقه، فمن أبى فليلحق بيمنه، وليُسقَ من غُدُرِه[1]، فإن الله ﷻ تكفّل لي بالشام وأهله ".**

(صحيح الجامع: ٤٠٧٠)

قال المناوي –رحمه الله –: " الشام مصطفاة من بلاده يجمع إليها المختارين من عباده ضمن لي حفظها، وحفظ أهلها، القائمين بأمر الله ".

أخرج الطبراني عن العرباض بن سارية ﷺ أن النبي ﷺ قام يومًا في الناس فقال: **" يا أيها الناس توشكون أن تكونوا أجنادًا مُجندة، جندٌ بالشام وجندٌ بالعراق وجندٌ باليمن، فقال ابن حوالة :ﷺ يا رسول الله إن أدركني ذلك الزمان فاختر لي، قال: إني أختار لك الشام فإنه خيرة المسلمين وصفوة الله من بلاده يجتبي إليها صفوته من خلقه، فمن أبى فليلحق بيمنه وليسقِ من غُدُرِه فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله ".**

(صحيح الترغيب والترهيب:٣٠٨٨)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والطبراني في الكبير عن عبد الله بن حوالة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودًا مجندة، جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق، قال ابن حوالة: خر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك فقال: " عليك بالشام، فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غدركم، فإن الله توكل لي بالشام وأهله ".

وفي لفظ آخر: أن ابن حوالة ﷺ قال : **يا رسول الله خر لي بلدًا أكون فيه، فلو أعلم أنك تبقى لم أختر على قربك شيئًا، قال:" عليك بالشام" . فلما رأى كراهتي للشام قال: أتدري ما يقول الله تعالى في الشام؟ إن الله تعالى يقول: يا شام أنت صفوتي من بلادي، أدخل فيك خيرتي من عبادي، إن الله تكفل لي بالشام وأهله ".**

قال ربيعة –رحمه الله–: **" فسمعت أبا إدريس يحدث بهذا الحديث يقول: ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه ".**

(صححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق صـ١٣)

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" صفوة الله من أرضه الشام، وفيها صفوته من خلقه وعباده، وليدخلن الجنة من أمتي ثلة لا حساب عليهم ولا عذاب ".**

(الصحيحة:١٩٠٩) (صحيح الجامع:٣٧٦٥)

١- الغُدُر: جمع غدير، وهي القطعة من الماء يغادرها السيل، وسمي بذلك، لأنه يغدر بأهله، أي يقطع بهم عند شدة حاجتهم إليه.
قال المناوي -رحمه الله-:" أهل الشام شأنهم أن يتخذ كل رفقة منهم غديرًا للشرب وسقي للدواب فوصّاهم بالسقي مما يختص بهم وترك المزاحمة فيما سواه والتغلب لئلا يكون سبيلًا للاختلاف وتهييج الفتنة ". (فيض القدير: ٣٤٢/٤)

٣- أهل الشام سوط الله في الأرض ينتقم بهم ممن يشاء:

فقد أخرج الإمام أحمد عن خريم بن فاتك الأسدي ﷺ قال: " أهل الشام سوط الله في الأرض، ينتقم بهم ممن يشاء كيف يشاء، وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم، ولن يموتوا إلا همًّا أو غيظًا أو حزنًا ".

(صححه الألباني في تخريج مناقب الشام وأهله لابن تيمية صـ٨٦)

٤- تكفل الله تعالى بأهل الشام:

قال الإمام سعيد بن عبد العزيز-رحمه الله-: " من تكفّل الله به فلا ضيعة عليه ".

وقال عز الدين بن عبد السلام -رحمه الله- في كتابه" ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام صـ٢٨ ":

" أخبر ﷺ أن الشام في كفالة الله- تعالى-، وأن ساكنيه في كفالته وحياطته، ومن حاطه الله تعالى وحفظه فلا ضيعة عليه، وقد درج العلماء على الإشارة بسكناه اقتداء برسول الله ﷺ إذ قال عطاء الخراساني:" لما هممت بالنُّقْلَة، شاورت مَنْ بمكة والمدينة والكوفة والبصرة وخراسان من أهل العلم فقلت: أين ترون لي أنزل بعيالي؟ فكلهم يقولون: عليك بالشام ".أهـ

وخير دليل على هذا تحطم الحملات الصليبية وحملات التتار على صخرة الإيمان في أرض الشام.

فعين جالوت ما يزال حديثها عبر تضيء بأروع الأمثال

تحكي مفاخرنا وتذكر مجدنا فتحييها حطين بالمنوال

ويقول عز الدين بن عبد السلام أيضًا: "هذه شهادة من رسول الله ﷺ باختيار الشام وبفضلها وباصطفاء ساكنيها واختياره لقاطنيها وقد رأينا بالمشاهدة، فإن من رأى صالحي أهل الشام ونسبتهم إلى غيرهم، رأى بينهم من التفاوت ما يدل على اصطفائهم واجتبائهم" . (المصدر السابق صـ٣٣)

فمن تكفل الله به فلن يضيعه، والله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين

٥- خيار أهل الأرض من يهاجر إلى الشام:

والشام هي مهاجر إبراهيم-عليه السلام-، ومهاجر إبراهيم تعدل مهاجر نبينا ﷺ

فقد أخرج أبو داود والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: **" ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجَر إبراهيم [١] ويبقى في الأرض شرار أهلها تلفظهم [٢] أرضوهم وتَقْذَرهم نَفْسُ الله [٣]، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير "** . (الصحيحة:٣٢٠٣) (صحيح الترغيب والترهيب:٣٠٩١)

وأخرج الإمام أحمد وابن عساكر من حديث عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" لتكونَّ هجرة بعد هجرة إلى مهاجر أبيكم إبراهيم عليه السلام، حتى لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، وتلفظهم أرضوهم، وتقذرهم روح الرحمن عز وجل، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير، تقيل حيث يقيلون وتبيت حيث يبيتون، وما سقط منهم فلها "** . (حسنه الألباني في تخريج فضائل الشام صـ٨٣)

وفي رواية عند الإمام أحمد أيضًا بلفظ: **"ستكون هجرة بعد هجرة، ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم تَقْذَرُهم نَفْسُ الله، تحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا، وتأكل من تخلف منهم "** . (صححه الشيخ أحمد شاكر)

وهذه فضيلة أخرى للشام أن من يأتيها ويقيم بها من أهل الصلاح للمرابطة هم خير أهل الأرض

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في" مناقب الشام وأهله صـ ٨٣ – ٨٤ ": فقد أخبر أن خيار أهل الأرض من ألزمهم مهاجر إبراهيم، بخلاف من يأتي إليه ثم يذهب عنه، ومهاجر إبراهيم هي الشام، وقد جعل مهاجر إبراهيم تعدل مهاجر نبينا ﷺ فإن الهجرة إلى مهاجره انقطعت بفتح مكة .أهـ

١- المهاجر: الموضع الذي يهاجَر إليه، ومهاجر إبراهيم هو الشام.
٢ - تلفظهم: تقذفهم مما تُرمى اللفاظة من الفم.
٣- تقذرهم نفس الله: أي أن الله يكره خروجهم إليها ومقامهم بها، فلا يوفقهم لذلك.

٦- عمود الكتاب والإسلام بالشام، وتمام دين الله وظهوره سيكون بها:

فقد أخرج الطبراني من حديث عبد الله بن حوالة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" رأيت ليلة أسري بي عمودًا أبيض كأنه لؤلؤة، تحمله الملائكة، فقلت: ما تحملون ؟ فقالوا: عمود الإسلام، أُمرنا أن نضعه بالشام، وبينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب اختلص من تحت رأسي، فظننت أن الله- تعالى- قد تخلّى عن أهل الأرض، فاتبعته بصري وإذا هو نور ساطع بين يدي حتى وضع بالشام "، فقال ابن حوالة: يا رسول الله خِرّ لي قال: "عليك بالشام ".** (صححه الألباني في تخريج فضائل الشام صـ٢٩)

وأخرج الإمام أحمد والطبراني عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" بينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب أُخْتُمِل من تحت رأسي فعُمِدَ به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام ".**

(صحيح الترغيب والترهيب:٣٠٩٤)

- وأخرج الحاكم وأبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي، فنظرت فإذا هو نور ساطع عُمد به إلى الشام، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام ". *وفي رواية:*" إذا وقعت الفتن فالأمن بالشام ".**

(صححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ص ١٥)

- وأخرج الإمام أحمد وأبو نعيم في الحلية والبزار عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول ﷺ: **" بينا أنا قائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حيث تقع الفتن بالشام".** (صححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ص١٥)

قال عز الدين بن عبد السلام-رحمه الله- في كتابه" ترغيب أهل الإسلام في سكن الشام ص٣٠-٣٣".

" أخبر النبي ﷺ أن عمود الإسلام الذي هو الإيمان يكون عند وقوع الفتن بالشام، بمعنى أن الفتن إذا وقعت في الدين كان أهل الشام برآء من ذلك ثابتين على الإيمان، وإن وقعت في غير الدين كان أهل الشام عاملين بموجب الإيمان، وأي مدح وأتم من ذلك.

والمعنى بعمود الإسلام: ما يعتمد أهل الإسلام عليه، ويلتجئون إليه، والعيان شاهد لذلك، فإنا رأينا أهل الشام على الاستقامة التامة، والتمسك بالكتاب والسنة عند ظهور الأهواء واختلاف الآراء. وقد قال عبد الله بن شوذب: تذاكرنا بالشام، فقلت لأبي سهل: أما بلغك أنه يكون بها كذا؟ فقال: ولكن ما كان بها فهو أيسر مما يكون بغيرها. والذي ذكره معلوم بالتجربة، معروف بالمشاهدة، إذ الفتن من القحط والغلاء. وغير ذلك من أنواع البلاء إذا نزلت بأرض كانت بالشام أخف منها في غيرها ". أ هـ

٧ - دعا النبي-صلى الله عليه وسلم- للشام بالبركة:

فقد أخرج البخاري من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " اللَّهم بارك لنا في شامنا، واللَّهم بارك لنا في يمننا، قالوا: وفي نجدنا [١] قال:" اللَّهم بارك لنا في شامنا، واللَّهم بارك لنا في يمننا، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان[٢]".

وأخرج الإمام أحمد والطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: إن النبي ﷺ قال: " اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا-مرتين- فقال رجل: وفي مشرقنا[٣] يا رسول الله فقال النبي ﷺ: من هناك يطلع قرن الشيطان وبها تسعة أعشار الشر".

قال عز الدين بن عبد السلام -رحمه الله-في كتابه" ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام صـ ٣٤ ":

لما بدأ بالدعاء للشام بالبركة وثنى باليمن دل على تفضيل الشام على اليمن مع ما أثنى به على أهل اليمن في غير هذا الحديث فإن البداية إنما تقع بالأهم فالأهم .أهـ

وأخرج الربعي في فضائل الشام والطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: " صلى رسول الله ﷺ الفجر، ثم أقبل على القوم فقال:" اللهم بارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في مدنا وصاعنا، اللهم بارك لنا في حرمنا، وبارك لنا في شامنا ". فقال رجل: وفي العراق؟ فسكت ثم أعاد، قال الرجل وفي عراقنا؟ فسكت، ثم قال:" اللهم بارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في مدنا وصاعنا، اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم اجعل مع البركة بركة والذي نفسي بيده ما من المدينة شعب ولا نقب إلا وعليه ملكان يحرسانها حتى تقدموا عليها.....". وذكر الحديث [٤].

فلله در بلاد الشام، يضيفها النبي ﷺ إلى نفسه وهذا يدل على أنها في قلب نبينا ﷺ بمكان عظيم، فأي شرف عظيم يسبغه النبي الكريم على ديار بها ملك دينه وعمود كتابه

فهنيئًا لمن تعلّق نسبه بالمصطفى ﷺ وتعلّقت أسبابه بأسبابه فالأسباب كلها منقطعة إلا سبب واحد، وهو المتعلق بالمصطفى ﷺ. (الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل لإبراهيم العلي صـ٤٦-٤٧)

---

١ - نجد: المراد بها العراق كما قال الخطابي وابن حجر

٢- قرن الشيطان: أي جانب رأسه وفي رواية: قرنا الشيطان: أي جنبا رأسه.
وقيل يضرب بقرني الشيطان المثل فيما لا يحمد من الأمور، وقيل هما جمعاه اللذان يغريهما بإضلال الناس، وقيل: شِيْعَتاهُ من الكفار.

٣ - وفي مشرقنا: قال الخطابي - رحمه الله -: نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة وأصل النجد ما ارتفع من الأرض وهو خلاف الغَوْرِ فإنه ما انخفض منها، وتِهامة كلها من الغور، ومكة من تهامة. أهـ (فتح الباري: ٥٤٦/١٤)

٤ - قال الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام صـ ٨ ، حديث صحيح وإن كنت لم أقف عليه بهذا التمام فيما عندي من كتب السنة.

٨ - في آخر الزمان ينصح النبي العدنان -صلى الله عليه وسلم- بسكنى الشام:

فهذا إن دل فإنما يدل على فضل الشام.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن حبان عن سالم بن عبد الله عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" ستخرج نار في آخر الزمان من حضرموت تحشر الناس " قلنا: فماذا تأمرنا يا رسول الله؟ قال:" عليكم بالشام " . (صحيح الترغيب والترهيب:٣٠٩٦) (صحيح الجامع: ٣٦٠٩)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن بهز بن حكيم عن معاوية القشيري عن أبيه عن جده قال: قلت:

يا رسول الله أين تأمرني؟ قال:" هاهنا "، وأومأ بيده نحو الشام. قال:" إنكم محشورون رجالًا وركبانًا ومُجْرَون على وجوهكم ". (قال الحافظ في الفتح: وسنده قوي)

وفي رواية: **" ستكون فتن"، قيل يا رسول الله !ماذا تأمرنا؟ قال:" عليكم بالشام ".** (صحيح الجامع:٤٠٦٩)

قال المناوي -رحمه الله- كما في" فيض القدير: ٤/٣٤٢ ":

أي الزموا سكنى أرض الشام قيل: مطلقًا لكونها أرض المحشر والمنشر وقيل المراد: آخر الزمان، لأن جيوش المسلمين تنزوي إليها عند اختلال أمر الدين وغلبة الفساد، قال في" الكشاف": وقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة، وحقت أن تكون كذلك، فهي مبعث الأنبياء، ومهبط الوحي ومكانهم أحياءً وأمواتًا ".أهـ

وقال عز الدين بن عبد السلام-رحمه الله- في كتابه:" ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام صـ٢٨ ":

" أشار ﷺ بالشام عند خروج النار لعلمه بأنها خير للمؤمنين من غيرها، والمستشار مؤتمن " .أهـ

وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال: **يأتي زمان لا يبقى فيه مؤمن إلا لحق بالشام** (صحيح موقوف وهو لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع)

وهذا الحديث وغيره من الأحاديث التي تحث على اللحاق بالشام إنما تكون في أزمنة مخصوصة وليس على إطلاقه فإن اللجوء إلى مكة أو المدينة في زمن الدجال أولى من اللجوء واللحاق بالشام. ***وقد قال النبي ﷺ في حديث:*** **" ... وإنه - أي الإسلام - يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها ".** والله أعلم

٩- كثرة شهداء الشام وفضلهم العظيم عند الله:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان وابن سعد عن أبي عسيب مولى النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **" أتاني جبريل بالحمى والطاعون، فأرسلت الحُمّى في المدينة، وأرسلت الطاعون إلى الشام، فالطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ورجس على الكافرين".** (الصحيحة: ٧٦) (صحيح الجامع:٦٠)

فأسكن الله الطاعون بلاد الشام ليكثر شهداءهم، ويرفع درجاتهم، ويزكي أعمالهم، ولقد تُوفِّي في طاعون عمواس أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجرح، ومعاذ بن جبل، وشرحبيل بن حسنة، وآلاف من الأخيار من الصحابة والتابعين. وأفضل الشهداء عند الله هم من أهل الشام كما جاء في الحديث.

١٠ - أرض الشام رباط وثغر إلى يوم القيامة وهي عقر دار المؤمنين:

فقد أخرج الإمام أحمد والنسائي وابن حبان عن سلمة بن نفيل الكندي ﷺ قال: " كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ فقال رجل: يا رسول الله أذال[١] الناس الخيل ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها، فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال:" كذبوا، الآن الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يُوحى إليّ: أني مقبوض غير ملَبَّث، وأنتم تتبعوني أفذاذًا، يضرب بعضكم رقاب بعض، وعُقرُ[٢] دار المؤمنين بالشام[٣] ". وفي رواية: " عَقْر دار الإسلام بالشام" .

(حسنه السيوطي، وقال الهيثمي: رجاله ثقات) (صححه الألباني في الصحيحة:١٩٣٥)

والحديث يدل على فضل ديار الشام وأنها في زمن الفتنة أمانٌ لأهل الإسلام

قال المناوي -رحمه الله- في" فيض القدير: ٤/ ٣١٩ ": "عقر دار الإسلام" أي: أصله وموضعه بالشام، أي: تكون الشام زمن الفتن محل أمن، وأهل الإسلام به أسلم، قال في" الفردوس": عقر الدار . مفتوح العين . أصلها والعقر والعقار خيار كل شيء وأصله .أهـ

قال عز الدين بن عبد السلام -رحمه الله- في كتابه" ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام صـ٣٢":

" أخبر ﷺ في هذا الحديث بالردة التي تقع ممن أراد الله تعالى أن يزيغ قلبه عن الإسلام، وأشار بقتل المرتدين، ثم بسكنى الشام إشارة منه إلى أن المقام بها رباط في سبيل الله تعالى، وإخبار بأنها ثغر إلى يوم القيامة، وقد شاهدنا ذلك فإن أطراف الشام ثغور على الدوام ".أهـ

فالشام أرض رباط وجهاد إلى يوم القيامة، والجهاد ماض والرباط مستمر وعلى أرضها تحسم المعركة بين الحق والباطل

١١ - أهل الشام ميزان للصلاح والفساد في أمة الإسلام:

ـ فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث معاوية بن قرة عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة ".

(صححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ص١٩)

فأهل الشام هم ميزان قسط لأهل الإسلام، وأمة الإسلام تعرف به مدى قربها أو بعدها عن دينها.. فكلما كان أهل الشام أكثر قربًا من دينهم، وأكثر تمسكًا به، كانت أمة الإسلام بخير.

وإذا فسد أهل الشام، وابتعدوا عن ربهم، كان ذلك علامة سوء في بُعد هذه الأمة عن دينها.

---

١ - أذال: أي أهان، وقيل أراد أنهم وضعوا أداة الحرب عنها وأرسلوها كما في (النهاية)

٢ - قال في النهاية: عُقر بضم العين وبفتحها، أي: أصلها وموضعها

٣ - رواه البزار في مسنده دون قوله: يضرب بعضكم...." إلخ، وزاد بعد قوله... "يوم القيامة "، "وأهلها معانون عليها ". وقال: لا نعلم رواة بهذا اللفظ إلا سلمة بن نفيل، وهذا أحسن حديث يروي في ذلك - (انتهى من السلسلة الصحيحة للألباني: ٤/ ٥٧١ رقم:١٩٣٥)

١٢ - بأرض الشام الطائفة المنصورة:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عمير بن هانئ قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنهما- على هذا المنبر يقول: **" لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس". فقام مالك بن يخامر السكسكي فقال: يا أمير المؤمنين: سمعت معاذ بن جبل يقول:" وهم أهل الشام"، فقال معاوية ﷺ – ورفع صوته–هذا مالك، يزعم أنه سمع معاذًا يقول:" وهم أهل الشام ".**

وعند الطيالسي عن أبي عبد الله الشامي قال: سمعت معاوية يخطب، وهو يقول: **يا أهل الشام، حدثني الأنصاري، يعني: زيد بن أرقم، أن رسول الله ﷺ قال:" لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون حتى يأتي أمر الله، وإني أراكموهم يا أهل الشام".**

وعند أحمد بلفظ: **" لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين وإني لأرجو أن تكونوا هم يا أهل الشام " .**

(الصحيحة:١٩٥٨)

وأخرج الإمام مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ".**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في" مناقب الشام وأهله صـ٨٠": قال أحمد بن حنبل:

أهل المغرب: هم أهل الشام. وهو كما قال لوجهين: **أحدهما** أن في سائر الحديث بيان أنهم أهل الشام.

الثاني: أن لغة النبي ﷺ وأهل مدينته في أهل الغرب هم أهل الشام، ومن يغرب عنهم، فإن المغرب والمشرق من الأمور النسبية، فكل بلد له غرب قد يكون شرقًا لغيره، وكان أهل المدينة يسمون الأوزاعي إمام أهل المغرب

وقال النووي –رحمه الله– في" شرحه على مسلم:٢/١٥٣":

إن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلين، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض. أهـ

فالطائفة المنصورة بأزمان قائليها ففي زمان الإمام أحمد بن حنبل كان المحدثون حملة السنة والمنافحين عنها أمام الفلسفة اليونانية والهندية وأمام الفرق الباطنية، وللجمع بين الأحاديث وأقوال أهل العلم يظهر أن هذه الطائفة متنوعة الكفاءات والطاقات والإمكانات والأفراد، متحدة في الغاية والهدف وهذه الطائفة تنافح عن الإسلام وتنصر الحق وأهله، تقاتل على الحق مجاهدة تصبر على ما يصيبها من أعدائها، قائمة على أمر الله آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر.

١٣ - جيش الشام من خيار أهل الأرض يؤيد الله بهم هذا الدين:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة[١] من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون، لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلوهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا، فيفتحون القسطنطينية فينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح[٢] قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون . وذلك باطل . فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم، فأمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته ".

والمدينة في الحديث هنا هي دمشق لحديث رسول الله ﷺ " يوم الملحمة[٣] الكبرى فسطاط [٤] المسلمين بأرض يقال لها الغوطة[٥] فيها مدينة يقال لها: دمشق[٦] خير منازل المسلمين يومئذ". (رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم)

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها: دمشق من خير مدائن الشام ". (صحيح الجامع:٤٢٠٥)

وأخرج ابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثًا من الموالي أكرم العرب فرسًا وأجودهم سلاحًا يؤيد الله بهم الدين ".

(حسنه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام للربعي صـ٦١)

---

١ - يخرج إليهم جيش من المدينة: أي دمشق.
٢ - المقصود به المسيح الدجال.
٣ - الملحمة: المقتلة العظمى.
٤ - الفسطاط: في الأصل الخيمة، ثم استعمل في الحصن والملجأ، والمقصود هنا موقع المسلمين، ومكان اجتماعهم يوم الملحمة، أي المعركة الكبرى بين المسلمين والنصارى.
٥ - الغوطة: تسمى اليوم غوطة دمشق، ودمشق مدينة معروفة، وهي عاصمة سوريا اليوم.
٦- دمشق بكسر الدال المهملة، وفتح الميم، وسميت بذلك لأن دمشاق بن نمرود بن كنعان هو الذي بناها وسميت باسمه، وكان دمشاق آمن بإبراهيم -عليه السلام- وسار معه (أفاده صاحب عون المعبود)

١٤ - شجرة طوبى في الجنة تشبه أشجار الشام:

فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني في الكبير عن عتبة بن عبد السلمي ﷺ قال جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: **ما حوضك هذا الذي تحدث عنه؟ فقال:" كما بين البيضاء إلى بصرى يمدني الله فيه بكراع لا يدري إنسان ممن خلق الله طرفاه"، فكبّر عمر بن الخطاب ﷺ فقال:" أما الحوض فيرد عليه فقراء المهاجرين الذين يقاتلون في سبيل الله، فأرجو أن يريني الله الكراع فأشرب منه، وقال رسول الله ﷺ:" إن ربي وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفًا، ثم يحثي لي ربي بكفيه ثلاث حثيات، فكبر عمر، وقال:" إن السبعين الأول يشفعهم الله في آبائهم وعشائرهم وأرجو أن يجعلني الله في الحثيات الأواخر، فقال الأعرابي: يا رسول الله فيها فاكهة؟ قال:" نعم، وفيها شجرة تُدعى طوبى هي تطابق الفردوس، فقال: أي شجر أرضنا تشبه ؟ فقال:" ليس تشبه شيئًا من شجر أرضك، ولكن أتيت الشام؟ فقال: لا يا رسول الله، قال: فإنها تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد ثم ينتشر أعلاها" قال: فما عظم أصلها؟ قال: لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك لم يدر بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرمًا....". *الحديث*[1]**

١٥ - رؤيا أم النبي - صلى الله عليه وسلم - قصور الشام عند ولادته:

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتابه " فضائل الشام صـ١٠١": ومن بركات الشام الدينية: أن نور النبي ﷺ سطع إليها، فأشرقت قصورها منه، فكان ذلك أول مبدأ دخول نوره ﷺ الشام، ثم دخلها نور دينه وكتابه فأشرقت به، وطهرها مما كان فيها من الشرك والمعاصي، وكمل بذلك قدسها وبركتها. أهـ

فأول أمر النبي ﷺ ومبعثه ونزول الوحي عليه كان هناك في مكة، وإن مهاجره إلى المدينة المنورة، وإن تمام أمره وعمود ملكه سيكون في الشام حيث رأت أمه قصور الشام.

فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني في الكبير وابن سعد عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: **" قلت: يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك ؟ قال: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي نورًا أضاءت منه قصور الشام ".**

وأخرج الإمام أحمد والطبراني في الكبير والحاكم عن العرباض بن سارية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك، دعوة أبي إبراهيم ،وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ".**

وأخرج الإمام أحمد والدارمي والحاكم والطبراني في الكبير عن عتبة بن عبد السلمي ﷺ قال:

" إن رجلًا سأل رسول الله ﷺ فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال: " كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا زادًا.... إلى أن قال: " فرحَّلت بعيرًا لها، فجعلتني أو فحملتني على الرحل، وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي. فقالت: أو أديت أمانتي وذمتي، وحدثتها بالذي لقيت، فلم يرعها ذلك، فقالت لها: رأيت خرج مني نورًا أضاءت منه قصور الشام ".

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله–: " وفيه بشارة لأهل محلتنا أرض بصرى وأنها أول بقعة من أرض الشام خلص إليها نور النبوة، ولله الحمد والمنة.

ولهذا كانت أول مدينة فتحت من أرض الشام، وكان فتحها صلحًا في خلافة أبي بكر ﷺ .

١- قال الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية: "١٥٧/٢: قال الحافظ الضياء: لا أعلم لهذا الإسناد- إسناد الطبراني- علة

١٦ - بقاء الشام بعد خراب غيرها من الأمصار:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن معاذ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال " .**

(صحيح الجامع:٤٠٩٦)

وفي الحديث الذي رواه الطبراني في الكبير: **" ينزل عيسى ابن مريم –عليهما السلام– عند المنارة البيضاء شرقي دمشق " .** (صححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام صـ٥٦)

ويهلك المسيح الدجال بباب لُدّ بفلسطين

١٧ - الشام أرض المحشر والمنشر:

من علامات الساعة الكبرى أنه سيخرج نار من قعر عدن؛ تحشر الناس إلى محشرهم، وهي أرض الشام وذلك قبل نفخة الصعق، وكذلك الشام هي البقعة التي يساق إليها الناس بعد قيامهم من قبورهم بعد نفخة البعث، فيجتمعون فيها للحساب يوم القيامة، فالشام هي أرض المحشر[١] والمنشر[٢]

فقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجه وأبو الحسن الربعي في فضائل الشام من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" الشام أرض المحشر والمنشر ".**

وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن قتادة –رحمه الله– أنه قال: " الشام أرض المحشر والمنشر، وبها يجتمع الناس رأسًا واحدًا، وبها ينزل عيسى ابن مريم وبها يهلك المسيح الكذاب ".

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت يا رسول الله: **" أين تأمرني، خِرِّ لي، فقال:" ها هنا بيده، (ونحا نحو الشام) وقال: إنكم محشورون رجالًا وركبانًا، وتجرون على وجوهكم ".**

وفي رواية الإمام أحمد: **" مشاةً وركبانًا أو على وجوهكم ".**

قال ابن أبي بكير–رحمه الله–: فأشار بيده إلى الشام، فقال:" إلى ها هنا تحشرون".

وفي رواية عند الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن معاوية بن حيدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" إنكم تحشرون رجالًا وركبانًا وتجرون على وجوهكم هاهنا . وأومأ بيده إلى الشام".

---

١ - المحشر: أي جمعهم في ذلك المكان.

٢ - المنشر: أي عندما يبعث الناس من الموت إلى الحياة مرة أخرى.

ثانياً :فضائل بيت المقدس (المسجد الأقصى)

بداية لابد أن نعلم أن بيت المقدس هو المسجد الأقصى، وهذا ما ذهب إليه أهل العلم، واستدلوا:

بالحديث الذي رواه الإمام مسلم من حديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" لما كذبتني قريش قمت إلى الحجر فجلّا الله لي بيت المقدس فطفت أخبرهم عن آياته[1] وأنا أنظر إليه ".

ويدل على هذا أيضًا الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثله قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به...". *الحديث*

فالمسجد الأقصى هو بيت المقدس، كما أن المسجد الحرام هو البيت العتيق.

وبيت المقدس (المسجد الأقصى) له فضائل كثيرة منها:

١ - *أقسم الله تعالى ببيت المقدس، والعظيم لا يقسم إلا بعظيم :*

قال تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ﴾ (التين:١-٢)

قال كعب -رحمه الله-: ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾: بيت المقدس.

وقال أيضًا -رحمه الله-: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ الجبل الذي عليه بيت المقدس.

وقال ابن زيد -رحمه الله-: هو مسجد إيليا. (انظر تفسير الطبري:١٢/١٥٣)

فأقسم الله- تعالى - بمنابت التين والزيتون في الشام وبيت المقدس

٢ - *بيت المقدس وفلسطين هي مهاجر إبراهيم ولوط - عليهما السلام- :*

وأرض فلسطين المباركة هي مهاجر إبراهيم ولوط -عليهما السلام- .

وقد مر بنا حديث عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: **" سيكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم... ".**

وحديث عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" لتكونن هجرة بعد هجرة إلى مهاجر أبيكم إبراهيم -عليه الصلاة والسلام - ".**

ومهاجر إبراهيم عليه السلام تعدل مهاجر نبينا ﷺ

ولما نجى الله إبراهيم ولوطًا وجههما إلى فلسطين من أرض الشام ليقيما عليها ويستقرا بها وفيها توفى الخليل -عليه السلام- ودفن في مدينة الخليل من أرض فلسطين، فلله درها من أرض وطئتها أقدام الخليل وفيها مثواه وقبره.

١- آياته: أي علاماته.

٣- بالقدس ديار يعقوب -عليه السلام-:

ديار فلسطين المباركة كانت ديار يعقوب عليه السلام قبل هجرته إلى مصر، فقد كان مسكنه في نابلس

وقد قال ابن كثير-رحمه الله- في البداية والنهاية: " إن المسجد الأقصى أسسه يعقوب عليه السلام ".أهـ

٤- وبالقدس كان ملك داود -عليه السلام- ومحرابه ومعبده:

وأقرب ما قيل في" محراب داود " الذي كان يتعبّد فيه وتسوّر عليه الملائكة وهو فيه، أنه في القلعة الموجودة عند باب الخليل، أحد أبواب مدينة القدس. وقد شهدت هذه المدينة الطاهرة وتجملت بمرور قدم أعبد البشر عليها

فقد أخرج الترمذي والحاكم والبخاري في التاريخ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

" كان داود أعبد البشر ". (صحيح الجامع:٤٤٥٣)

وأخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- قال: **" أرسل إليّ رسول الله ﷺ فقال: ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟، فقال النبي ﷺ: " صم صوم داود، فإنه كان أعبد الناس، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، إنك لا تدري لعله أن يطول بك العمر ...". *الحديث***

فكيف تطأ أقدام اليهود الذين دنسوا تاريخ البشرية وقذفوا أعبد البشر داود عليه السلام ، كيف تطأ أقدامهم هذه الأرض ؟

لم ينتهوا عن قتل داود ولا لوط فكيف بقذفهم روبيلا

٥- مُلْكُ سليمان -عليه السلام- ونبوته في البيت المقدّس:

وبالقدس كان ملك سليمان ونبوته وجدد عليه السلام بناء بيت المقدس. لا كما يقول اليهود عليهم لعنة الله: أن سليمان ارتد وعبد الأصنام والأوثان وبنى لها المعابد

وَدَعَوْا سليمان النبي بكافرٍ واستهونوا إفكًا عليه مقولا

٦- موسى -عليه السلام- يسأل ربه عند الموت أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **" أُرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صكه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله إليه عينه، وقال: ارجع إليه؟ وقل له: يضع يده على متن ثور فله بما غطّت يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب! ثم ماذا؟ قال: ثمّ الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يُدنيَه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فلو كنتُ ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر".**

فهذا كليم الرحمن عليه السلام يسأل ربه عند الموت أن يدنيه من الأرض المقدسة لشرفها وبركتها

وقد ترجم الإمام البخاري -رحمه الله- لهذا الحديث بقوله:" باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة "

(فتح الباري:٣/٢٠٦)

وقال النووي -رحمه الله-: وأما سؤاله الإدناء من الأرض المقدسة؛ فلشرفها وفضيلة من فيها من المدفونين من الأنبياء وغيرهم. وقال بعض العلماء: وإنما سأل الإدناء ولم يسأل نفس بيت المقدس؛ لأنه خاف أن يكون قبره مشهورًا عندهم فيفتتن به الناس . (شرح النووي على مسلم:١٥/١٢٨)

٧- يوشع بن نون فتى موسى ونبي بني إسرائيل -عليه السلام- ونبأه العجيب: فقد حبس الله له الشمس عند فتحه للقدس:

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل مَلَك بُضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها، ولمّا يَبنِ بها، ولا أحد بنى بيتًا ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنمًا أو خلِفات وهو ينظر ولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر، أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللَّهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه، فجمع الغنائم، فجاءت النار لتأكلها، فلم تطعمها فقال: إن فيكم غُلولًا، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فزقت يدُ رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فلتُبايعني قبيلتك، فلزقت يدُ رجلين، أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغُلول، فجاؤوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب، فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلّها لنا ".**

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ قال: **" قال رسول الله ﷺ:" ما حُبست الشمس على بشرٍ قط، إلا على يوشع بن نون ليالِيَ سار إلى بيت المقدس" .** (الصحيحة:٢٢٢٦)

حبس الله لفتح القدس الشمس فلماذا حبسوا الشمس عنها؟!

أوقف الله لها الناموس لكرامتها عليه، وحبس الشمس حتى فتحها نبيه يوشع بن نون عليه السلام ، فلماذا حبسوا عنها النور والشمس؟!

فلسطينُ هـل أَبْقيتِ دمـعًا لنائحٍ ... حَنانَيْكِ من شوقٍ ومن عَبَراتِ

فلسطينُ آياتٌ وفيضٌ من الهُدى ... مُجَلّلةٌ بالنـــور والبركـــات

ماذا تبقّى منك يا درّة الفاتحين... يا سليلة الطهر... يا عطر كل الأنبياء المخلصين ...ماذا تبقى منك؟!

أهـــذهِ القــدسُ والأقصى يزِّيُنها ... مسرى النبي أفيها ساجد عمرُ؟

أم أورشليم يــهوذا بـــات يحكمها ... وهيكل الظلم في أحضانها نضِرُ؟

٨- بيت المقدس كان متعبد مريم - عليها السلام- ومحراب زكريا -عليه السلام-:

فقد عاش بالقدس آل عمران الأبرار، وعاشت فيه أم مريم الخاشعة والتي نذرت ما في بطنها لله ولخدمة بيت المقدس. **قال تعالى:** ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (آل عمران:٣٥)

والمعنى أنها نذرت ما في بطنها لله، وسألته سبحانه أن يكون هذا المولود خالصًا متفرغًا للعبادة وخدمة بيت المقدس فاستجاب الله لها، ورزقها مريم- عليها السلام- الكاملة في عبادتها وذكرها، وتوكلها على الله.

قال تعالى عن مريم -عليها السلام-: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران:٣٧)

وببيت المقدس عاش زكريا -عليه السلام- وملأ الدنيا عبادة، وتضرعًا، ودعاءً، ومسارعة في الخيرات.

٩- دعوة سليمان -عليه السلام- لمن صلى في بيت المقدس أن يكون من خطيئته كيوم ولدته أمه:

فقد أخرج الإمام مسلم وابن خزيمة واللفظ له أن رسول الله ﷺ قال: " إن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله ﷻ خلالًا ثلاثة، سأل الله حكمًا يصادف حكمه [١] فأوتيه وسأل الله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه[٢] إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطئته كيوم ولدته أمه، أما اثنتان فقد أعطيهما وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة ".

- ***وفي رواية:*** " إن سليمان سأل الله ثلاثًا فأعطاه اثنتين وأرجو أن يكون أعطاه الله الثالثة: سأله أن يحكم بحكم يوطئ حكمه فأُعطي، وسأله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه، وسأله أيما عبد أتى بيت المقدس لا يُريد إلا الصلاة فيه، أن يكون من خطيئته كيوم ولدته أمه ".

- ***وفي رواية:*** " وأنه لا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ".

وعند الخطيب في الرحلة في طلب الحديث صـ١٣٧" قال عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-: " إن سليمان حين فرغ من بيت المقدس، قرب قربانًا فتُقبِّل منه، فدعا الله بدعوات ... ***منهن:*** " اللَّهم أيما عبد مؤمن زارك في هذا البيت تائبًا إليك إنما جاء يتنصّل عن خطاياه وذنوبه أن تتقبّل منه، وتتركه من خطاياه كيوم ولدته أمه ". (إسناده صحيح)

١- يصادف: يوافقه حكمه.
٢- ينهزه: يدفعه.

١٠ - الميلادان الفذان كانا بفلسطين :ميلاد يحيى وميلاد عيسى ابن مريم - عليهما السلام-:

ففي أرض فلسطين الطاهرة المباركة خُرِق الناموس من أجل الطيبيْن يحيى، وعيسى –عليهما السلام–.

دعاء حار من قلب طاهر يعلق رجاءه بمن يسمع الدعاء، ويملك الإجابة، واستجيبت الدعوة، ولم يحل دونها مألوف البشر– من كون زكريا عليه السلام بلغه الكبر وامرأته عاقر– وجاء يحيى عليه السلام الذي سماه الله، وجعله سيدًا كريمًا حصورًا، ونبيًا من الصالحين، يُسلم عليه ربه ويبارك حياته على ثرى فلسطين وبيت المقدس

أخرج الإمام أحمد والترمذي والبخاري في التاريخ الكبير عن الحارث الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

" إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل يعملون بهن، وإن عيسى بن مريم قال له: إن الله أمرك بخمس كلمات تعمل بهن وتأمر بهن بني إسرائيل يعملون بهن، فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم ؟ قال: إنك إن تسبقني بهن خشيت أن أعذب أو يخسف بي. قال: فجمع الناس في بيت المقدس حتى امتلأ وقعد الناس على الشرفات قال: فوعظهم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن :أولاهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو وَرِق، قال: هذه داري، وهذا عملي، فاعمل وأدِّ إليّ، فجعل يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئًا. وآمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا. وآمركم بالصيام وإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرّة فيها مسك ومعه عصابة كلهم يعجبه أن يجد ريحها، وإن الصيام أطيب عند الله من ريح المسك. وآمركم بالصدقة، وإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو وقاموا إليه فأوثقوا يده إلى عنقه، فقال: هل لكم أن أفدي نفسي منكم؟ قال: فجعل يعطيهم القليل والكثير ليفكّ نفسه منهم .وآمركم بذكر الله كثيرًا وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره حتى أتى على حصن حصين، فأحرز نفسه فيه، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله. وقال رسول الله ﷺ:" وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن: الجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فمن فارق الجماعة قيد شبر خلع الإسلام من رأسه إلا أن يرجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية، فإنه من جثي جهنم، قيل: وإن صلى وصام؟ قال: " وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سمّاكم المسلمين المؤمنين عباد الله" .

(صحيح الترغيب والترهيب: ٥٥٣) (صحيح الجامع:١٧٢٤)

وعلى أرض فلسطين ذبح اليهود السيد الحصور يحيى –عليه السلام–

وعلى ثرى فلسطين يكون الميلاد الفذ للمسيح بن مريم –عليه السلام–

وعلى أرض فلسطين الطاهرة يكون الميلاد الفذ للمسيح من أمه الطاهرة التي بشرها الله على أرض فلسطين بميلاد عيسى –عليه السلام– التي اصطفاها الله وطهرها وجعلها من القانتين.

طاعة وعبادة، وخشوع وركوع. وحياة موصولة بالله، ويأتي السيد الوجيه في الدنيا والآخرة الذي يرفعه الله في الدنيا والآخرة، ويحوطه الله ويرعاه من مكر اليهود ليعود قبل القيامة يحطم الكفر ويكسر الصليب ويضع الجزية ويقتل الخنزير، وعلى أرض فلسطين يقتل مسيح الضلالة في باب لد.

١١ - وبيت المقدس فيه الربوة التي أوت إليها مريم وابنها عيسى -عليه السلام- :

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (المؤمنون:٥٠)

قال أبو هريرة ﷺ: " الزموا هذه الرملة من فلسطين؛ فإنها الربوة التي قال الله: ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾".

وقال قتادة -رحمه الله-: " هو بيت المقدس ". (تفسير الطبري:٩/٢٦-٢٧)

١٢ - أفضل الخلق وخيارهم سيكونون ببيت المقدس:

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث أبي أمامة ﷺ ***قال: قال رسول الله*** ﷺ: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على عدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك "، قالوا: يا رسول الله، وأين هم ؟ قال:" في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس ".

١٣ - بيت المقدس - المسجد الأقصى - ثاني مسجد بني على الأرض:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي ذر ﷺ ***قال:*** قلت يا رسول الله ! أي مسجد وضع على الأرض أولًا؟ قال:" المسجد الحرام". قلت: ثم أي؟ قال:" المسجد الأقصى"، قلت: كم بينهما؟ قال:" أربعون سنة وأينما أدركتك الصلاة فصلِّ فإنه مسجد ".

قال ابن حجر -رحمه الله- في" ***الفتح:٦/٤٠٩***":"وليس إبراهيم أول من بنى الكعبة ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس، فقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم ثم انتشر ولده في الأرض فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس ثم بنى إبراهيم الكعبة بنص القرآن، وكذا قال القرطبي: إن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان لما بنيا المسجدين ابتدأ وضعهما لهما، بل لعله تجديد لما أسسه غيرهما .أهـ

وقال أيضا: وقد وجدت ما يشهد ويؤيد قول من قال: إن آدم هو الذي أسس كلًّا من المسجدين، فذكر ابن هشام في كتاب " التيجان": أن آدم لما بنى الكعبة أمره الله بالسير إلى بيت المقدس، وأن يبنيه، فبناه ونسك فيه ثم جاء إبراهيم فجدّد بناءها على القواعد والأساس كان موجودًا قبل ذلك، وجدّد بناء المسجد الأقصى على هذا القول.

والقول الثاني: أن خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام هو باني الكعبة، أول مسجد في الأرض، والمسجد الأقصى هو بيت المقدس هو ثاني مسجد بُني على الأرض بنص حديث أبي ذر ﷺ ويحدّد النبي ﷺ المدة الزمنية بين بناء الكعبة وبناء المسجد الأقصى بأنها أربعون سنة، وهذا يعني أن إبراهيم هو باني المسجد الأقصى بيت المقدس، وكون إبراهيم هو باني أول مسجدين يوضح كونه أمة وإمام الهدى وخليل الرحمن، فليس غريبًا ولا مستبعدًا أن يبني إبراهيم المسجد الأقصى بعد بناء الكعبة بأربعين سنة.

وللحافظ ابن كثير رأي آخر في" البداية والنهاية" وهو: أن المسجد الأقصى أسسه إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام [1] أهـ

١- وهذا الكلام للحافظ ابن كثير يؤكد أن سليمان -عليه السلام- هو الذي قام بتجديد المسجد الأقصى ولم يأسسه، والذي أسسه هو يعقوب-عليه السلام- بعد بناء إبراهيم-عليه السلام- الكعبة بأربعين سنة، لأن بين سليمان وإبراهيم-عليهما السلام- أكثر من ألف عام، والحديث فيه: أن بين بناء الكعبة وبيت المقدس أربعين سنة فقط.

١٤ - بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم من حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: **" كان رسول الله ﷺ يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه، وبعد ما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهرًا ثم صُرف إلى الكعبة ".** (صححه أحمد شاكر -رحمه الله- في تعليقه على المسند برقم:٢٩٩٣)

وأخرج البخاري من حديث البراء بن عازب ﷺ قال: **" إن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده - أو قال أخواله - من الأنصار، وأنه صلى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلّاها العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَل مكة، فداروا-كما هم- قِبَل البيت وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب، فلما ولّى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك ".**

وفي البخاري أيضًا عن البراء ﷺ في حديثه السابق: **" أنه مات على القبلة قبل أن تُحَوّل رجال وقُتِلوا، فلم ندري ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ[1] إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** (البقرة:١٤٣)

وأخرج الإمام مسلم وأحمد من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: **" إن رسول الله ﷺ كان يصلي نحو بيت المقدس فنزلت: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾فمرّ رجل وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة فنادى: ألا إن القبلة قد حُوِّلت، ألا إن القبلة قد حُوِّلت إلى الكعبة، فمالوا كما هم نحو القبلة ".**

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: **" بينما الناس بقباء في صلاة الصبح، جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة، وأُمِر ان يستقبل القبلة فاستقْبِلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة ".**

إن نسخ القبلة الأولى لم يُلْغ منزلتها الشرعية السامية ولعل من حكمة تحويل القبلة إلى الكعبة الإشارة إلى تفرّد الإسلام وتميزه من الديانات الأخرى، ويكفي أن الله اختاره ليكون مسرى نبيه إليه، وكان الإسراء من أكبر معجزات النبي ﷺ.

---

١ - أي صلاتكم

١٥ - بيت المقدس أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال:

من فضائل بيت المقدس (المسجد الأقصى) أنه أحد المساجد الثلاثة التي أذن الشرع في شد الرحال إليها.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: **" ثلاث قالهن رسول الله ﷺ، أو سمعتهن منه آنَقْنَنِي[1] وأعجبتني: " لا تسافر المرأة مسيرة يومين ولا ليلتين إلا ومعها ذو محرم أو زوجها، ولا صوم يومين يوم النحر ويوم الفطر، ولا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس، ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا ".**

وعند البخاري من حديث قزعة مولى زياد قال: **"سمعت أبا سعيد الخدري ﷺ يحدث بأربع عن النبي ﷺ فأعجبنني وآنَقْنَنِي، قال:" لا تسافر المرأة يومين إلا معها زوجها أو ذو محرم، ولا صوم في يومين الفطر والأضحى، ولا صلاة بعد صلاتين: بعد الصبح حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب، ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد الأقصى، ومسجدي".**

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى".**

وأخرج ابن ماجه والطبراني من حديث أبي سعيد وعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول اله ﷺ قال:

" لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام، إلى المسجد الأقصى، وإلى مسجدي هذا ".

(صحيح سنن ابن ماجه:١١٥٧)

١٦ - الصلاة في المسجد الأقصى بمائتين وخمسين صلاة:

فقد أخرج الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي ذر ﷺ قال: **" تذاكرنا- ونحن عند رسول الله ﷺ - أيهما أفضل أمسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ:" صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو، وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعًا، أوقال: خير من الدنيا وما فيها ".**

(صححه الألباني في " تحذير الساجد " ص١٩٨ وصححه أيضًا في تخريج أحاديث فضائل الشام للربعي ص١٦)

قال الألباني -رحمه الله- في كتابه " تحذير الساجد " ص ١٣٥ : صح أن الصلاة في بيت المقدس على الربع من الصلاة في المسجد النبوي - وهو حديث عند البيهقي-.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ".**

فالصلاة في المسجد الأقصى تعدل مائتين وخمسين صلاة فيما سواه من المساجد

---

١ - الأَنَقُ: الفرح والسرور. وقد أَنِقَ بالكسر يَأْنَقُ أَنَقًا. وشيءٌ أَنِيقٌ، أي حَسَنٌ معجِبٌ. وآنَقَني الشيءُ، أي أعجبني. (الصحاح في اللغة)

١٧ - لَنِعْمَ المصلى بيت المقدس:

مر بنا الحديث الذي أخرجه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيما سواه ولنعم المصلى هو، وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعًا، وقال: خير له من الدنيا وما فيها ".

وفي رواية: **" صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى في أرض المحشر والمنشر، وليأتين على الناس زمان لقيد سوط -أو قال قوس- الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له أو أحب من الدنيا جميعًا ".**

١٨ - بيت المقدس أرض المحشر والمنشر:

قال النبي ﷺ في الحديث السابق: **" ولنعم المصلى في أرض المحشر والمنشر".** يقصد بيت المقدس

وقد قال تعالى: ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ (ق:٤١)

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله-: "واستمع يا محمد صيحة القيامة يوم ينادي بها مناديًا من موضع قريب، وذُكِرَ أنه ينادي بها من صخرة بيت المقدس ".

قال قتادة -رحمه الله-: "كنا نحدث أنه ينادى من بيت المقدس من الصخرة وهي أوسط الأرض ".

قال كعب-رحمه الله-: " ملك قائم على صخرة بيت المقدس ".

وقال بردة -رحمه الله-: " ملك قائم على صخرة بيت المقدس". (تفسير الطبري:١١/١١٤)

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ (الحديد:١٣)

قال عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- : " وهو السور الشرقي باطنه المسجد وظاهره وادي جهنم ".

وقال كعب -رحمه الله-: " في الباب الذي في بيت المقدس ".

وقال الطبري -رحمه الله:- " قد قيل إن ذلك السور بيت المقدس عند وادي جهنم ".

١٩ - ومما يدل على فضل بيت المقدس:

أن الله تعالى أسرى بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى بيت المقدس (المسجد الأقصى)

وهناك تقدم الأنبياء فصلى بهم إمامًا، **قال تعالى:** ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١)

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره:٣/٥":

" يمجد تعالى نفسه، ويعظم شأنه لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره، ولا رب سواه ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ "يعني محمدًا ﷺ ﴿لَيْلًا﴾ أي في جنح الليل ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وهو مسجد مكة ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ وهو بيت المقدس الذي بإيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأمهم في محلتهم ودارهم فدل على أنه الإمام الأعظم والرئيس المقدم . صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ".أهـ

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **" لقد رأيتُني في الحِجْر وقريش تسألني عن مَسْراي فسألتني عن أشياءَ من بيت المقدس لم أثبتها. فكربتُ كربةً ما كربتُ مثله قط، قال: فرفعه اللهُ لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، ولقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى عليه السلام قائم يصلي فإذا رجل ضَرْب جَعْدَ كأنه من رجال شَنَوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه -، فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغتُ من الصلاة قال قائل: يا محمد هذا مالكٌ صاحب النار فَسَلِّم عليه فالتفَتُّ إليه فبدأني بالسَّلام ".**

ويلاحظ في هذا الحديث أن النبي ﷺ ذكر صراحة تقدمه على جميع المرسلين وأنه أمَّهم، وصلاة المرسلين خلفه اعتراف منهم بمنزلته وفضله ومكانته وأن رسالته نسخت جميع الرسالات السابقة عليه، فلا يعمل بها ولا يرجع إليها، وإن مسئولية المسجد الأقصى أصبحت مسئولية الرسالة الخاتمة التي ختمها الله بنبينا ﷺ، لأن جميع الأنبياء والمرسلين قد سلموا له بذلك، فالمسجد الأقصى للمسلمين إلى أن تقوم الساعة بشهادة جميع المرسلين.

وقد اختلف العلماء في مكان هذه الصلاة ووقتها. والراجح: أن صلاة النبي ﷺ بالأنبياء كانت ببيت المقدس بعد معراجه.

وقال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: ٣/٥٣ : "والحق أنه ﷺ أُسري به يقظة لا منامًا، من مكة إلى بيت المقدس. راكبًا البراق فلما انتهى به إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله، فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين ثم أتى بالمعراج، وهو كالسلم ذو درج يُرقى فيها فصعد فيه إلى السماء الدنيا، ثم إلى بقية السماوات... وفرض الله عليه هنالك الصلوات الخمس ... ثم هبط إلى بيت المقدس، وهبط معه الأنبياء، فصلى بهم فيه لمَّا حانت الصلاة، ويحتمل أنها الصبح من يومئذ، ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء، والذي تظاهرت به

الروايات أنه بيت المقدس ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه، والظاهر أنه بعد رجوعه إليه، لأنه لما مرَّ بهم في منازلهم جعل يسأل جبريل عنهم واحدًا واحدًا وهو يخبره بهم، وهذا هو اللائق؛ لأنه كان أولًا مطلوبًا إلى الجناب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى، ثم لما فرغ من الذي أُرِيد به اجتمع هو وإخوانه من النبيين، ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الإمامة، وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام له في ذلك ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس والله سبحانه وتعالى أعلم ". أهـ

كما رجح ذلك الشيخ الألباني-رحمه الله- فقال: والصحيح أنه إنما اجتمع بهم في السماوات ثم نزل إلى بيت المقدس ثانيًا وهم معه وصلى بهم فيه، ثم إنه ركب البراق وكر راجعًا إلى مكة. والله أعلم

(الإسراء والمعراج للألباني صـ٩٣)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث مالك بن صعصعة -رضي الله عنهما- قال: قال النبي ﷺ: **" بينا أنا عند البيت[١] بين النائم واليقظان؛ إذ أقبل أحد الثلاثة بين الرجلين فأُتيت بطست من ذهب ملأه حكمة وإيمانًا، فشَقّ من النَّحْر إلى مَرَاق البطن، فغسل القلب بماء زمزم، ثم مُلئ حكمة وإيمانًا[٢]. ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار". [قال :فقال الجارود :هو البراق يا أبا حمزة؟ قال :نعم ".يقع خطوه عند أقصى طرفه فحُمِلت عليه] [٣] [ثم انطلقنا حتى أتينا إلى بيت المقدس، فصليت فيه بالنبيين والمرسلين إمامًا] [٤]، ثم انطلقت مع جبريل عليه السلام فأتينا السماء الدنيا قيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم قيل: مرحبًا به، ونعم المجيء جاء...". *الحديث***

وأخرج الإمام مسلم وأحمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

" أُتيت بالبراق - وهو دابة أبيض - فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء. قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا..". *الحديث*[٥]

وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلى والنسائي في الكبرى عن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: **" أسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، ثم جاء من ليلته، فحدثهم بمسيره وبعلامة بيت المقدس وبعيرهم، فقال ناس: نحن لا نصدق محمدًا بما يقول؟! ، فارتدوا كفارًا فضرب الله أعناقهم مع أبي جهل ".**

---

١ - في رواية لأحمد: عند الكعبة

٢ - بعد ذلك عند أحمد والبخاري: " ثم أعيد " وزاد ابن جرير: " مكانه ".

٣ - الزيادة عند أحمد والبخاري

٤ - الزيادة عند ابن جرير

٥ - وقع في بعض روايات هذا الحديث ذكر الإناءين هنا قبل المعراج ووقع في طريق آخر ذكر الإناءين بعد المعراج عند سدرة المنتهى، ولكل منهما شواهد ذكرها الحافظ في" الفتح: ٧٣/١٠ ".

وأخرج الإمام أحمد والنسائي في الكبرى عن زرارة بن أبي أوفى عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:"

" لما كان ليلة أسري بي، وأصبحت بمكة فَظِعتُ بأمري[1] وعرفت أن الناس مكذِّبيَّ. قال: فقعد معتزلًا حزينًا، فمر به عدو الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟! فقال رسول الله ﷺ: نعم: قال: ما هو؟ قال:" إنه أسري بي الليلة ".

قال: إلى أين؟

قال:" إلى بيت المقدس ".

قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال:" نعم ".

قال: فلم ير أنه يُكَذِّبه مخافة أن يجحده الحديث إذ دعا قومه إليه، قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟! فقال رسول الله ﷺ:" نعم ".

فقال: هيا معشر بني كعب بن لؤي!

حتى قال: فانتفضت إليه المجالس، وجاؤوا حتى جلسوا إليهما

قال: حدث قومك بما حدثتني.

فقال رسول الله ﷺ:" إني أسري بي الليلة ".

قالوا: إلى أين؟ قال:" إلى بيت المقدس ".

قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال:" نعم ".

قال: فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبًا للكذب؛ زعم!

قالوا: وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد.

فقال رسول الله ﷺ:" فذهبت أنعت فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت – قال– : فجئ بالمسجد وأنا أنظر حتى وضع دون دار عقال–أو: عقيل– فنعته وأنا أنظر إليه.

قال: "وكان مع هذا نعت لم أحفظه ".

قال: فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب . (صححه الألباني في الإسراء والمعراج صـ٨٤)

وأخرج البخاري من حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما– أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:" لما كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس، قمت في الحِجْر فجلى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه ".

١ ـ فظعت بأمري: أي اشتد عليّ وهبته (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير)

الحكمة من الإسراء إلى المسجد الأقصى:

قال السيوطي في " الآية الكبرى" ص١١٥": تكلم الناس في الحكمة في الإسراء بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، قبل المعراج **:فقيل:** ليجمع تلك الليلة بين القبلتين. **وقيل:** لأن بيت المقدس كانت هجرة غالب الأنبياء قبله، فحصل له الرحيل إليه في الجملة ليجمع بين أشتات الفضائل، **وقيل:** لأنه محل الحشر، وغالب ما اتفق له في تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية، فكان المعراج من القدس أليق، **وقيل:** لإرادة إظهار الحق على من عاند، لأنه لم عرج به من مكة لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلًا إلى البيان والإيضاح، فلما ذكر ﷺ أنه أسري به إلى بيت المقدس، سألوه عن جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها، وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك، فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس في ليلة، وإذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكره، وهذه الحكمة تحقق أن الإسراء كان في اليقظة . بجسمه وروحه – لأنه لو كان منامًا أو بالروح كما قيل– ما كذبه المشركون، وما تحدوه أن يصف لهم المسجد . (بيت المقدس والمسجد الأقصى لمحمد محمد حسن شراب)

وقال صاحب الظلال في" تفسيره:١٢/١٥ ": " والرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير، تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام– إلى محمد خاتم النبيين وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعًا وكأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الأخير، لمقدسات الرسل قبله واشتمال رسالته على هذه المقدسات وارتباط رسالته بها جميعًا ". أهـ

وقال محي الدين مستو: في بدء رحلة الإسراء من المسجد الحرام بمكة وانتهائها بالأرض المباركة في المسجد الأقصى، ما يدل على قداسة هذين المسجدين وما يحيط بهما من أرض شهدت مبعث النبوات والرسالات ولهذا كان أحدهما القبلة الأولى التي لا تُنسى للمسلمين، وكان الآخر القبلة الدائمة التي يتوجهون إليها كل يوم
وهذه الرحلة اتخذت نفس المسار الذي كان يسلكه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام في تردده بين مكة والأرض المباركة حين أسكن هاجر وابنها إسماعيل في مكة وأسكن سارة وإسحاق في فلسطين .أهـ

يقول الشيخ محمد الغزالي –رحمه الله– في كتابه " فقه السيرة صـ١٠٣": لماذا كانت الرحلة إلى بيت المقدس ولم تبدأ من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة؟ إن هذا يرجع بنا إلى تاريخ قديم، فقط ظلت النبوات دهورًا طويلة وهي وقف على بني إسرائيل وظلت بيت المقدس مهبط الوحي ومشرق أنواره على الأرض وقصبة الوطن المحبب إلى شعب الله المختار فلما أهدر اليهود كرامة الوحي وأسقطوا أحكام السماء حلت بهم لعنة الله وتقرر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد! ومن ثم كان مجيء الرسالة إلى محمد ﷺ انتقالًا بالقيادة الروحية في العالم من أمة ومن بلد إلى بلد، ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل. لكن إرادة الله مضت، وحملت الأمة الجديدة رسالتها وورث النبي العربي تعاليم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وقام يكافح لنشرها وجمع الناس عليها. فكان من وصل الحاضر بالماضي وإدماج الكل في حقيقة واحدة أن يعتبر المسجد الأقصى ثالث الحرمين في الإسلام، وأن ينتقل الرسول في إسرائه فيكون هذا الانتقال احترامًا للإيمان الذي درج قديمًا في رحابه..... أهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في مجموع الفتاوى:٢٧/٤٤"

على أن مُلك النبوة بالشام، والحشر إليها، فإلى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر، وهناك يحشر الخلق والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام ".

وقال أيضًا –رحمه الله– كما في مناقب أهل الشام صـ٧٨:" كما أن من مكة المبدأ فمكة أم القرى... والشام إليها يحشر الناس كما في قوله: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ نبه على الحشر الثاني، فمكة مبدأ وإيلياء معاد في الخلق، وكذلك بدأ الأمر. فإنه أسري بالرسول من مكة إلى إيلياء، ومبعثه ومخرج دينه من مكة، وكمال دينه وظهوره وتمامه حتى يملكه المهدي بالشام. فمكة هي الأول، والشام هي الآخر في الخلق والأمر، في الكلمات الكونية والدينية ". (انظر كذلك مجموع الفتاوى:٢٧/٥٠٥)

الرسول - صلى الله عليه وسلم- يتسلَّم مفاتيح بيت المقدس:

قال الدكتور صلاح الخالدي: قد جمع الله الأنبياء والرسل السابقين لمحمد ﷺ في تلك الليلة في المسجد الأقصى ومنهم أنبياء ورسل بني إسرائيل فأمهم في الصلاة أي: صلى وهو بهم إمامًا وصلوا هم خلفه مأمومين!!

وجمعهم هذا جمع غيبي لا نعرفه كيف جرى، وهو غير خاضع للقوانين والأسباب المادية، لأن الرسل غادروا هذه الحياة الدنيا، والتحقوا بالرفيق الأعلى فهم في حساب البشر أموات ولكنهم عند الله أحياء، حياة خاصة غيبية، كما أراد الله سبحانه، ثم إن صلاتهم في المسجد الأقصى مأمومين خلف رسول الله ﷺ يقدم لنا بعض الدلالات

منها: اعتراف هؤلاء الرسل بفضل ومنزلة رسول الله ﷺ، ومكانته عند الله وتسليم منهم أنه أفضل الخلق وأكرمهم وأقربهم إلى الله سبحانه، فهو إمام الخلق أجمعين، وإمام الأنبياء والمرسلين، في السير في طريق الله، وفي القرب من الله

ومنها: اعتراف هؤلاء الأنبياء والمرسلين بختم النبوة والرسالة بنبوة ورسالة محمد ﷺ، فلا وحي بعده، ولا نبي يأتي بعده، ولا رسالة بعد رسالته، وهو اعتراف منهم أيضًا بنسخ رسالاتهم برسالته، ونسخ كتبهم بكتابه، فلا عمل بالتوراة أو الزبور أو الإنجيل، بعد إنزال الله للقرآن.

ومنها: دعوة هؤلاء الأنبياء والمرسلين– بخاصة أنبياء بني إسرائيل– لأقوامهم وأتباعهم بالدخول في الإسلام، والإيمان بالقرآن، واتباع محمد ﷺ، والتخلي عما كانوا عليه من اليهودية والنصرانية، إن أرادوا القبول عند الله، ودخول جنة الله. فإن لم يستجيبوا له، ولم يدخلوا في دينه فهم كفار ضالون مخلدون في النار، وإن ادّعوا أنهم على طريق إبراهيم أو موسى.

ومنها: تسليم هؤلاء الأنبياء والمرسلين " مفاتيح الأرض المقدسة إلى محمد ﷺ وأمته فمعظم هؤلاء عاشوا على الأرض المقدسة، وكان هو المسؤول عنها، الراعي لها، الخليفة عليها، وأنوار رسالته ونبوته انتشرت عليها، وبقيت حلقات النبوة والرسالة والخلافة تتابع على الأرض المقدسة إلى أن ختمت هذه الحلقات بنبوة ورسالة محمد ﷺ، الدائمة حتى قيام الساعة.

وفي ليلة الإسراء جاء الأنبياء وسلموا محمد ﷺ المسؤولية والخلافة، والأمانة والعهد، وأوكلوا له – ولأمته من بعده – مهمة الأرض المقدسة، ورعايتها وحمايتها، والخلافة فيها، واستمرار الإيمان عليها، حتى قيام الساعة.

لقد سلَّم الأنبياء السابقون– ومنهم أنبياء بني إسرائيل – مفاتيح الأرض المقدسة لمحمد ﷺ ليلة الإسراء، أعلنوا بذلك عن انتهاء استخلاف أقوامهم من اليهود والنصارى وانتهاء مسؤولية هؤلاء الأقوام على الأرض المقدسة، وتحويل هذه الخلافة والمسؤولية لأمة محمد ﷺ، وانتقال الإشراف على الأرض المقدسة إلى هذه الأمة واستمرار هذه المسؤولية فيها حتى قيام الساعة.

وجعل الصلاة ميدانًا ومجالًا لهذا الانتقال، وجوًا مناسبًا للتسلّم والتسليم، حيث محمد ﷺ هو الإمام، والأنبياء خلفه مأمومون مسلمون له، يعطي دلالة واضحة على أهمية الصلاة والعبادة ووجوب تعمّقه في أمة الإمامة والخلافة، التي تناط بها مسؤولية الإشراف على الأرض المقدسة.

إن الأقوام السابقين من اليهود والنصارى ليسوا مصلين لله صدقًا، ولا عابدين له حقًا، ولذلك انتزع الله منهم هذه الخلافة والإمامة، وجعلها في أمة العبادة والصلاة، وتسلم رسولها محمد ﷺ هذه المهمة والمسؤولية من إخوانه الأنبياء في الصلاة!

ومنها: أن رسول الله ﷺ كان أول فاتح للأرض المقدسة، ليلة الإسراء، وهذا منه عهد لأمته من بعده، بأن تفتح هذه الأرض المقدسة عمليًّا، بعد أن فتحها هو نظريًّا، وتسلم مفاتيحها من إخوانه الأنبياء، وهذه بشرى لأمته منه، بأنها ستفتح هذه الأرض المقدسة، وتنشر فيها الإسلام، وتحقق فيها الخلافة الربانية الراشدة، ولقد حقّقت هذه الأمة هذا الأمر بعد محمد ﷺ وفهمت منه هذا الإيحاء وأخذت عنه هذه الإشارة ". أهـ

(مقالة للدكتور صلاح الخالدي بعنوان" الرسول يتسلم مفاتيح الأرض المقدسة " من مجلة فلسطين المسلمة عدد٩ / سنة ١١ أيلول١٩٩٣)

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك